المنار
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

( قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق )

( مصر فى يوم الثلاثاء غرة شوال سنة ١٣١٨ — ٢١ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠١ )

# كتب المغازي واحاديث القصاصين (١)

لفضيلة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية

سألني سائل عن الرأي فى ما يوجد بايدى الناس من كتب الغزوات الاسلامية واخبار الفتوح الاولى وعما حشيت به تلك الكتب من اقوال واعمال تنسب الى النبي صلى الله عليه وسلم والى كبار اصحابه رضى الله عنهم وهل يصح الاعتماد على شئ منها ثم خص فى السؤال كتاب الشيخ الواقدى الموضوع فى فتوح الشام وذكر لى ان بعضاً من معربدة هذه الأيام المعتدين على مقام التصنيف قد جعلوا هذا الكتاب عمدة نقلهم ومثابة يرجعون اليها فى رواياتهم ليتخذوا منه حجة على ما يروّجونه من تشويه سيرة المسلمين الاولين وليسلكوا منه سبيلاً الى اذاعة المثالب ونشر المعايب

(١) نشرت هذه المقالة في جريدة ثمرات الفنون الغراء منذ ١٥ سنة عند ما كان الاستاذ في بيروت . واعادت نشرها في العدد ١٣١٣ الصادر في ٩ من رمضاننا هذا

وان بعضاً آخر من ضعفة العقول من المسلمين ظنوا هذا الكتاب من انفس ماذخر الاولون للآخرين وانه جدير ان يحرز فى خزائن الكتب السياسية وحقيق ان ينقل من اللغة العربية الى غيرها من اللغات فاجبت السائل بجواب احببت لو ينشر على ظن ان تكون فيه ذكرى لمن يتذكر

لم يرزأ الاسلام باعظم مما ابتدعه المنتسبون اليه . وما احدثه الغلاة من المفتريات عليه . فذلك مما جلب الفساد على عقول المسلمين . واساء ظنون غيرهم فيما بني عليه الدين . وقد فشت الكذب فاشية على الدين المحمدى فى قرونه الاولى حتى عرف ذلك فى عهد الصحابة رضى الله عنهم بل عهد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم فى حياته حتى خطب فى الناس قائلا : ايها الناس قد كثرت علىّ الكذابة ألا من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار او كما قال

الا ان عموم البلوى بالاكاذيب حق على الناس بلاؤه فى دولة الامويين فكثر الناقلون وقل الصادقون وامتنع كثير من اجلة الصحابة عن الحديث الا لمن يثقون بحفظه خوفاً من التحريف فيما يؤخذ عنهم حتى سئل عبد الله ابن عباس رضى الله عنه لِمَ لا تحدث فقال لكثرة المحدثين . وروى عنه الامام مسلم فى مقدمة صحيحة انه قال : ما رأيت اهل الخير فى شىء اكذب منهم فى الحديث . ثم اتسع شر الافتراء وتفاقم خطب الاختلاق وامتد بامتداد الزمان الى ان نهض ائمة الدين من المحدثين والعلماء العاملين ووضعوا للحديث اصولاً وشرطوا فى صحة الرواية شروطاً وبينوا درجات الرواة واوصافهم ومن يوثق به ومن لا يوثق به منهم وصار ذلك فناً من اهم الفنون سموه فن الاسناد واتبعوه بفن آخر سموه فن مصطلح الحديث فامتاز بذلك

الصحيح من الفاسد وامتاز الحق من الباطل وعرفت الكتب الموثوق بها من غيرها وثبت علم ذلك عند كل ذى إلمام بالديانة الاسلامية

وقد روي عن الامام مالك رضى الله عنه انه كان قد كتب كتابه الموطأ حاوياً اربعة عشر الف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع حديث « قد كثرت علي الكذابة فطابقوا بين كلامى والقرآن فان وافقه والاّ فاطرحوه » عاد الى تحرير كتابه فلم يثبت له من الاربعة عشر الفاً اكثر من الف . ومن راجع مقدمة الامام مسلم علم ما لحقه من التعب والعناء فى تصنيف صحيحه واطلع على ما ادخله الدخلاء فى الدين وليس منه فى شىء

لم يخف على اهل النظر فى التاريخ ان الدين الاسلامى غشى ابصار العالم بلامع القوّة . وعلا رؤوس الامم بسلطان السطوة . وفاض فى الناس فيضان السيول المنحدرة . ولاحت لهم فيه رغبات . وتمثلت لهم منه مرهبات . وقامت لأُولى الالباب عليه آيات بينات . فكان الداخلون فى الدين على هذه الاقسام قوم اعتقدوا به اذعاناً لحجته واستضاءة بنوره واولئك الصادقون وقوم من ملل مختلفة انتحلوا لقبه واتسموا بسمته اما لرغبة فى مغانمه او لرهبة من سطوات اهله او لتعزز بالانتساب اليه فتدثروا بدثاره لكنهم لم يستشعروا بشعاره . لبسوا الاسلام على ظواهر احوالهم الا انه لم يمس أعشار قلوبهم فهم كانوا على اديانهم فى بواطنهم ويضارعون المسلمين فى ظواهرهم وقد قال الله فى قوم من اشباههم : قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الايمانُ فى قلوبكم

فمن هؤلاء من كان يبالغ فى الرياء حتى يظن الناس انه من الاتقياء فاذا احس من قوم ثقة بقوله اخذ يروى لهم احاديث دينه القديم مسنداً

لها الى النبي صلى الله عليه وسلم او بعض اصحابه ولهذا ترى جميع الاسرائيليات وما حوته شروح التوراة قد نقل الى الكتب الاسلامية على انه احاديث نبوية الا ان ائمة الدين عرفوا ذلك فنصوا على عدم صحتها ونهوا عن النظر فيها . ومنهم من تعمد وضع الاحاديث التي لو رسخت معانيها في العقول افسدت الاخلاق وحملت على التهاون بالاعمال الشرعية وفترت الهمم عن الانتصار للحق كالأحاديث الدالة على انقضاء عمر الاسلام ( والعياذ بالله ) او المطمعة في عفو الله مع الانحراف عن شرعه او الحاملة على التسليم للقدر بترك العمل فيما يصلح الدين والدنيا كل ذلك يضعه الواضعون قصداً لافساد المسلمين وتحويلهم عن اصول دينهم ليختل نظمهم ويضعف حولهم

ومن الكاذبين قوم ظنوا ان التزيد في الاخبار والاكثار من القول يرفع من شأن الدين فهذروا بما شاؤا يبتغون بذلك الأجر والثواب ولن ينالهم الا الوزر والعقاب وهم الذين قال فيهم ابن عباس : مارأيت اهل الخير في شيء اكذب منهم في الحديث ويريد باهل الخير اولئك الذين يطيلون سبالهم ويوسعون سربالهم ويطأطئون رؤوسهم ويخفتون من اصواتهم ويغدون ويروحون الى المساجد باشباحهم وهم ابعد الناس عنها بارواحهم يحركون بالذكر شفاههم ويلحقون بها في الحركة سبحهم ولكنهم ـ كما قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ـ : منقادون لحملة الحق لا بصيرة لهم في احنائه ينقدح الشك في قلوبهم لاول عارض من شبهه جعلوا الدين من اقفال البصيرة ومغاليق العقل فهم اغمار مرحومون يسيئون ويحسبون انهم يحسنون . فهؤلاء قد يخيل لهم الظلم عدلاً والغدر فضلاً فيرون ان نسبة ما يظنون الى اصحاب التي مما يزيد في فضلهم ويعلي من النفوس منزلتهم فيصح

فيهم ما قيل «عدوّ عاقل خير من محب جاهل» ومن هؤلاء وُضّاع كتب المغازى والفتوح وما شاكلها

اما الشيخ الواقدى فكان من علماء الدولة العباسية ولاه المأمون القضاء فى عسكر المهدى وكان تولى القضاء فى شرقي بغداد . قال ابن خلكان : وضعفوه فى الحديث وتكلموا فيه . اهـ . اى عدوه ضعيف الرواية ليس من اهل الثقة ولهذا نص الامام الرملى من علماء الشافعية على انه لا يؤخذ بروايته فى المغازي فان كان هذا الكتاب المطبوع الموجود فى ايدى الناس من تصنيفه فهذه منزلته من الضعف عند علماء المسلمين على انى لو حكمت بانه مكذوب عليه مخترع النسبة اليه لم اكن مخطئاً

وذلك لأن الواقدى كان من اهل المائة الثانية بعد الهجرة وكان من العلم بحيث يعرفه مثل المأمون ابن هارون الرشيد ويواصله ويكاتبه وصاحب هذه المنزلة فى تلك القرون اذا نطق فى العربية فانما ينطق بلغتها وقد كانت اللغة لتلك الاجيال على المعهود فيها من متانة التأليف وجزالة اللفظ وبداوة التعبير والناظر فى كتاب الواقدى ينكشف له بأول النظر ان عبارته من صناعات المتأخرين فى اساليبها وما ينقل فيها من كلام الصحابة مثل خالد بن الوليد وابى عبيدة وغيرهم رضى الله عنهم لا ينطبق على مذاهبهم فى النطق بل كلما دقق المطالع فى احناء قوله يجد اسلوبه من اساليب القصاصين فى الديار المصرية من ابناء المائة الثامنة والتاسعة ولا يرى عليه لهجة المدنيين ولا العراقيين والرجل كان مدنىّ المنبت عراقيّ المقام ولولا خوف التطويل لأتيت بكثير من عباراته وبينت وجه المخالفة بينها وبين مناهج ابناء القرون الأولى فى التعبير على ان ذلك لا يحتاج الى البيان عند

العارفين باطوار اللغة العربية

فهذا الكتاب لاتصح الثقة به اما لانه مكذوب النسبة على الواقدى وهو الأظهر واما لضعف الواقدى نفسه فى رواية المغازى كما صرّح به العلماء فلا تقوم به حجة للمتحذلقين ولا يصلح ذخراً للسياسيين ومثل هذا الكتاب كتب كثيرة كقصص الانبياء المنسوب لابى منصور الثعالبى وكثير من الكتب المتعلقة باحوال الآخرة او بدء العالم او بعض حقائق المخلوقات المنسوبة الى الشيخ السيوطى وقصص روايات تنسب الى كعب الاحبار او الاصمعى ومن شاكلهما ممن عرفوا بالرواية فاولع الناس بالنسبة اليهم من غير تفريق بين صحيح وباطل فجميع ذلك مما لا اعتداد به عند العلماء ولا ثقة بما يندرج فيه والعمدة فى النقل التاريخى كتب الحديث كصحيح البخارى ومسلم وغيرهما من الصحاح ويتلوها كتب المحققين من المؤرخين كابن الأثير والمسعودى وابن خلدون وابى الفداء وامثالهم وعلى اى حال فلا يستغنى مطالع التاريخ عن قوة حاكمة يميز بها بين ما ينطبق على الواقع وما ينبو عنه . هذا ما اردنا اليوم اجماله فان دعا الى التفصيل داع عدنا اليه والله الموفق للصواب

م ع

## ﴿ تنبيه ﴾

ضاق هذا الجزء عن نشر المحاورة الرابعة من المحاورات بين المصلح والمقلد لأننا لم نر بُدًّا من نشر مقالة الاستاذ لفائدتها وموعدنا بها الجزء الآتى ان شاء الله تعالى